

*Al-jinwiyūn bi sawāhil al-maghrīb al-mohūṭiyya
awākhir al-‘aṣr al-waṣīt*

الجنويون بسواحل المغرب المحيطية أواخر العصر الوسيط

مصطفى نشاط

جامعة محمد الأول، وجدة

أصبحت كومونة جنوة، منذ نشأتها في منتصف القرن XIم، مركز الحوض الغربي للبحر المتوسط. ولعل من حسن حظ المشتغل على تاريخ جنوة أن أرشيفها يعتبر من أغنى الأرشيفات الأوروبية، وذلك على الرغم من كثرة الحروب التي خاضتها وتعرضه للحرائق أكثر من مرة.¹

ويحتوي أرشيف جنوة على صندوق واحد من الوثائق العربية تحت رقم 2337. وقد جمعها المشرفون على الأرشيف إلى جانب وثائق باللغة التركية ظناً منهم أنها من نفس اللغة. ومعظم الوثائق بهذا الأرشيف عبارة عن عقود تجارية تكشف عن أهمية الممارسة التجارية لدى الجنويين الذين حكمت تاريخهم ثنائية البحر والتجارة.²

وفيما يخص العلاقات التجارية بين جنوة والمغرب، فإن أقدم ما وصلنا عنها، العقود التي حرّرها الموثق "جيوثاني سكريبا" (Giovanni Scriba) ما بين 1156 و1164.³ كما أن جنوة حظيت بتاريخ كرونولوجي للأحداث التي شهدتها على مدى ثلاثة قرون، وقد دسّن "كافارو" (Caffaro) العملية بكتابة الجزء الأول الذي يغطي المرحلة الممتدة من 1099 إلى 1163 لتكتمل السلسلة مع آخر جزء سنة 1382.⁴

1. Dominique Valerian, *Les sources italiennes de l'histoire du Maghreb médiéval. Inventaire critique* (Paris: Bouchene, 2006), 9.

2. Gabriella Airaldi, "Les Italiens et L'océan à la fin du Moyen Age," *Actes des Congrès de La Société des Historiens médiévistes de l'enseignement supérieur public* 17 (1) (1986): 111.

3. *Il cartolario di Giovanni Scriba* (Torino: Edition M. Chiaudano et M. Moresco, 1935).

4. ألفت الحوليات الجنوبية باللغة اللاتينية، وحققت ما بين سنتي 1890 و1929، ثم ترجمت إلى اللغة الإيطالية تحت عنوان:

Annali Genovesi di Caffaro e de'suoi continuatori. Traduzioni di Ceccardo Roccatagliata Ceccardi e di Giovanni Monleone (Genova: Municipio di Genova, 1923-1941), 10 volumes.

وقد رمزنا لها في هوامش هذه المساهمة بـ: AG. وتوجد ترجمة عربية للإشارات التي تهم علاقات جنوة بالمغرب الأقصى من خلال الحوليات الجنوبية: انظر مصطفى نشاط، نصوص ودراسات مترجمة عن العلاقات الإيطالية المغربية في العصر الوسيط (وجدة: مكتبة الطالب، 2005)، 11-28.

قد يصعب تتبع تفاصيل علاقات جنوة بالمغرب قبل القرن XII م. ومما له دلالة في هذا السياق، أن كتاب "كنال" (Canale) المؤلّف العام عن تاريخ جنوة في العصر الوسيط، لا نعثر به على أي إشارة تخص العلاقات المغربية قبل القرن XII م.⁵ ويبدو أن الحروب الصليبية الأولى ظلت تلقي بظلالها على العلاقات بين جنوة والمغرب، ولن يتمكن الطرفان من توقيع معاهدة هدنة وتجارة بينهما إلا مع سنة 1137م على عهد المرابطين.⁶

لقد جمع "دوماص لاتري" (De Mas Latrie) المعاهدات التي أبرمت بين المغرب والدول المسيحية في غرب أوروبا ضمن كتاب أصبح من المصنفات الكلاسيكية التي وجب التعويل عليها في هذا الموضوع، وعنوانه بـ "معاهدات السلم والتجارة."⁷ والظاهر أنه بتأثير الترجمة المباشرة للعنوان، فإن كثيرا من الدراسات تتحدث عن معاهدات السلم والتجارة، بينما المناسب هو الحديث عن معاهدات الهدنة والتجارة لأن السلم دائم والهدنة مؤقتة، وعلى الرغم من توقيع الطرفين لاتفاقيات ثنائية، فإنها كانا يدخلان في حرب غير معلنة، لمجرد وقوع حادث طارئ أو إثر وفاة حاكم.

وثمة مسألة أخرى عادة ما تثار حين استحضار العلاقات التجارية بين المغاربة ودول غرب أوروبا، وما يلاحظ بها من ضعف لحضور المغاربة بالمراسي الأوروبية. ذلك بأن بعض الفقهاء حرّموا أو كرهوا التجارة مع النصارى خوفا على عقيدة المسلم، أو تفاديا لإمكانية تقوي الطرف النصراني من تلك التجارة. والواقع أنه يجب التمييز في الفتاوى بين التجارة مع "دار الكفر" والتجارة مع "دار الحرب". فمعظم الاجتهادات صبّت في اتجاه تكريه أو تحريم التجارة مع "دار الحرب"، وليس مع "دار الكفر"، ما يعني أنه كان بإمكان المسلم أن يتاجر مع بلد نصراني يوجد في حالة هدنة مع بلده.

تمحورت حركة المبادلات التجارية للجنوبيين مع المغرب في القرن XII م على سبته باعتبارها أهم مراسي المغرب الوسيط. حيث وصف ابن سعيد المغربي هذه المدينة بأنها

5. Canale Michele Giuseppe, *Nuova Istoria della repubblica di Genova; del suo commercio e della sua letteratura dalle origini all'anno 1797* (Firenze: F. Le Monnier, 1860).

6. Pasquale Lisciandrelli, *Trattati e negoziazioni politiche delle repubblica di Genova 958-1797* (Genova: Società Ligure di Storia Patria, 1960), 7.

7. Louis de Mas Latrie, *Traité de paix et de commerce concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au moyen âge* (Paris: Plon, 1866), 2 vol.

”ركاب البحرين، شبه الإسكندرية في كثرة الحط والإقلاع، وفيها التجار الأغنياء...“⁸ وفضلا عن سبته، تبرز أيضا أهمية مراسي أصيلة والعرائش وسلا وأنفا وأسفي.

ويبدو أن سلا كانت آخر المراسي المحيطية التي تعامل معها الجنويون بالمغرب في القرن XII م.⁹ كما أن السفير الجنوي ”أوطوبونو“ (Ottobono) المبعوث إلى الموحدين، لعلّه أول جنوي استثمر أمواله في التجارة مع سلا. فبمقتضى عقد مؤرخ بـ 13 يونيو 1163، نقل ”لنفرنكو كبالي“ (Lanfranco Cabali) سلعا باتجاه سلا بقيمة خمسين ليرة لفائدة مواطنه السفير ”أوطوبونو.“ وفي شهر أكتوبر من السنة ذاتها، انتقل مركب آخر للتجارة مع سلا. وازداد عدد العقود التجارية عن مبادلات الجنويين مع سلا سنة 1163. ففي فترة قصيرة ممتدة من 15 إلى 26 شتنبر، ثمة عشرة عقود عن عمليات تجارية قام بها الجنويون بسبته وسلا، ومن أهم السلع التي تبرز من خلال هذه العقود التي همت التجارة مع سلا، نذكر الزعفران واللك (العلك).¹⁰

وفي القرن XIII م، تجمّعت كل العوامل التي جعلت جنوة تتبوء الصدارة في التجارة بالحوض الغربي للمتوسط. لقد أصبحت أوروبا تعيش حالة حضارية مشرقة عبّر عنها ”جاك لوغوف“ باستعمال لفظة: ”أوروبا الجميلة.“¹¹ وجسّدت جنوة هذا التوجه في اندفاع مواطنيها نحو مراسي الحوض المتوسطي. ومن مؤشرات ذلك، أن الأسقف ”جاك دو فوراجين“ (Jacques de Voragine) 1230-1298 ألف كتابا عن تاريخ جنوة راهن فيه على تطور المدينة بفضل ممارسة سكانها للتجارة البحرية.¹²

وقبل الوقوف عند مظاهر الحضور الجنوي بالسواحل المحيطية المغربية في القرنين XIII وXIV الميلاديين، تجدر الإشارة بخصوص سلا إلى توهم تسلّل إلى بعض الكتابات بحديثها عن هجوم شنّه الجنويون على هذه المدينة سنة 1260 م. والظاهر أن التوهم انطلق

8. ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي (بيروت: منشورات المكتب التجاري، 1970).

9. Adolfo Schaube, *Storia del commercio dei popoli latini del Mediterraneo sino alle fine delle crociate* (Torino: Unione Tipografico-Editrice Torinese, 1915), 340.

و توجد ترجمة عربية للإشارات المتعلقة بالتجارة مع المغرب الأقصى، ضمن: نشاط، نصوص ودراسات مترجمة، 47-79.

10. Schaube, *Storia*, 343.

11. Jacques Le Goff, *L'Europe est-elle née au moyen âge* (Paris: Édition du Seuil, 2003), 135.

12. Gabriella Airaldi, "Aspetti dell' espansione mediterranea Genovese," in *L'Italia ed i paesi mediterranei: vie di comunicazione e scambi commerciali e culturali al tempo delle repubbliche marinare* (Pisa: Nistri-Lischi e Pacini, 1988), 38-9.

مع "إرنست مرسيي" (Ernest Mercier) أواخر القرن XIXم عندما كتب في هذا الصدد: "إن الأمر يتعلق دون شك بالجنوبيين أو الببزيين الذين كانت تربطهم علاقات تجارية مع مرسي سلا..¹³ وفي السياق نفسه، احتمال "أماري" (Amari) أن يكون الجنويون وراء ذلك الهجوم.¹⁴ بل إن "لوبيز" (Lopez) لم يتردد في المقارنة بين الحملة الناجحة التي شنها الجنويون على سبته سنة 1234م، والهجوم ذي النتائج المحدودة الذي قاموا به على سلا سنة 1260.¹⁵ والواقع أنه لم تكن للجنوبيين أي علاقة بالحملة العسكرية التي تعرضت لها سلا خلال هذه السنة، وإنما كان المهاجم قشتاليا، وقد وقف ابن عذارى عند أحداث هذه الحملة التي جرت أواخر شهر رمضان 658 للهجرة.¹⁶

والظاهر أن جنوة - خلافا للممالك الإيبيرية - حرصت على صيانة مصالحها التجارية في المغرب الأقصى باللجوء أكثر إلى الوسائل السلمية. ولم نسجل اعتمادها على الخيارات العسكرية في علاقاتها مع المنطقة، منذ حملتها على سبته سنة 1234م. وإن كان ثمة تشنج في العلاقات الجنوبية المغربية خلال تلك المرحلة، فقد جرت فصوله خارج المغرب الأقصى، وذلك لما ساهم الجنويون إلى جانب القشتاليين في إلحاق الهزيمة بالأسطول المريني في طريف "ريو سالادو" (Rio Salado) في 2 ماي 1292. ووجب التنبيه على أن محقق الحوليات الجنوبية في إحالته على هذا الحادث، ذهب إلى أن القشتاليين - بمساعدة الجنوبيين - تمكنوا من السيطرة على مدينة الرباط المغربية.¹⁷

وإزداد اهتمام الجنوبيين بالسواحل المحيطة المغربية مع أواخر القرن XIIIم في خضم منافسة التجار الكطلانيين والببزيين والبنادقة. ودشن الجنويون اهتمامهم بالسواحل المحيطة لما نجحت سفينة "نيكولا سبينولا" (Nicola Spinola) سنة 1277 في اجتياز مضيق جبل طارق في اتجاه فلندرة. وسنة بعد ذلك، وصلت سفينة جنوية إلى إنجلترا عبر المضيق نفسه، وفي سنة 1298، أقيم خط بحري بين جنوة وإنجلترا.¹⁸ وقد استفادت

13. Ernest Mercier, *Histoire de L'Afrique septentrionale* (Paris: Ernest Leroux, 1891), vol. II, 177.

14. Michele Amari, "Nuovi ricordi arabi sulla storia di Genova," *Atti della Società Ligure di Storia Patria*, V, fasc. IV (1873): 578-79.

15. Roberto Lopez, *Storia delle colonie Genovesi nel Mediterraneo* (Bologna: N. Zanichelli, 1938), 188.

16. انظر التفاصيل عند أحمد ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، (قسم الموحدين)، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زبير وعبد القادر زمامة، منشورات الجمعية المغربية للتأليف الترجمة والنشر (بيروت: دار الغرب الإسلامي - الدار البيضاء: دار الثقافة، 1985)، 417 وما بعدها.

17. AG, vol. 9, 77.

18. Pierre Chaunu, *L'Expansion européenne du XIII^e au XV^e siècle* (Paris: P.U.F., 1969), 311.

جنوة من العوامل المحلية المشجعة على التجارة خلال هذه الفترة، ومن انتصارها على غريماتها بيزة في معركة "ميلوريا" (Meloria) البحرية سنة 1284.

وفي النصف الأول من القرن XIVم، ألف "فرنسيسكو بيگولوتي" (Pegolotti Francesco) كتابه "مرشد التجار"¹⁹ لتقديم النصائح للتجار الإيطاليين وتسهيل معاملاتهم بالأسواق الخارجية، بما فيها الأسواق المغربية. وجاء الكتاب متضمنا لإشارات فريدة عن الضرائب التي كان على التجار الإيطاليين دفعها للمخزن المريني وأهم السلع المتبادلة والطرق التجارية ومراحلها وأكثر الأسواق نشاطا. ويسمح الكتاب المذكور بالوقوف عند المراسي المحيطة المغربية التي تردّد عليها الجنويون، وهي أصيلا وسلا وأنفا وأسفي، علما بأنه لا يشير إلى العرائش التي وجد بها على غرار المدن المذكورة فنادق لفائدة التجار الإيطاليين،²⁰ وقد أثبت مؤلف جنوي مجهول مدينة العرائش على خريطته البحرية التي وضعها في القرن XIVم إلى جانب مراسي مغربية أخرى.²¹

وفيا يلي جدول بالسلع التي جلبها الجنويون من هذه المراسي المغربية ونسبة الضرائب المفروضة عليها:

| المرسى | السلعة | نسبة الضريبة |
|--------|--------------|--|
| أصيلا | شمع العسل | 48 درهما فضيا ²² عن كل قنطار |
| | جلود البقر | 18 ونصف دينار عن كل 100 قطعة |
| | جلود الخرفان | 22 درهما فضيا عن كل 100 قطعة |
| | النيلة | نصف دينار ذهبي ²³ عن كل قنطار |
| | التمور | 16 درهما فضيا عن كل قنطار |
| | الشب | 16 درهما فضيا عن كل قنطار |
| | العاج | نصف دينار ذهبي عن كل قطعة |
| | الكتان | 16 درهما فضيا عن كل ربع قنطار |

19. Francesco Balducci Pegolotti, *La Pratica della mercatura* (Cambridge: The Medieval Academy of America, 1936).

20. De Mas Latrie, *Traités*, 171-72.

21. Editée par Luigi Tommaso Belgrano et Cornelio Desimoni, *Atti della Società Ligure di Storia Patria*, V (1867).

22. كان وزن جراما ونصف جرام، ويعبر عنه في الوثائق الأوروبية بلفظة: Millares-Migliares.

23. وزن 56.4 جراما ويعبر عنه في الوثائق الأوروبية بالدبلون: Doublon.

| | | |
|--|---|------|
| 4 دنانير عن كل قنطار دينار ذهبي عن كل 100 قطعة 30 درهما فضيا عن كل 100 قطعة نصف دينار عن كل قنطار ربع دينار ذهبي عن كل قنطار 18 درهما فضيا عن كل جرة فضلا عن العشر | شمع العسل جلود البقر جلود الخرفان النيلة الأصواف الزيوت | سلا |
| 4 دنانير ذهبية عن كل قفيز ²⁴ ديناران ذهبيان عن كل قفيز دينار وربع دينار عن كل قنطار 9 دنانير ذهبية عن كل 100 قطعة 4 دنانير ونصف دينار فضي دينار ونصف دينار ذهبي عن 100 قطعة ربع دينار ذهبي عن كل 100 قطعة ربع دينار عن كل قنطار ربع دينار ذهبي عن كل قنطار 18 درهما فضيا عن كل جرة فضلا عن العشر | القمح الشعير شمع العسل جلود البقر جلود العجول جلود التيس جلود الخرفان الأصواف اللوز الزيوت | أنفا |
| 4 دنانير ذهبية عن كل قفيز ديناران ذهبيان عن كل قفيز | القمح الشعير | أسفي |

ومن الملاحظ أن "بيگولوتي" لا يشير إلى إحدى المواد الثمينة التي دفعت الجنويين إلى الاهتمام بالسواحل المحيطة المغربية، وهي مادة الذهب. ولا غرو في ذلك، فالأمر يتعلق بتجارة سلعة نفيسة ظلت تمارس في أجواء الكتمان والسرية. لقد كانت الدولة المرينية تصدر الذهب المجلوب من السودان إلى الأوروبيين عبر مراسي سلا وسبته

24. اختلف وزنه حسب المناطق بالحوض المتوسطي، حيث كان يزن بالسواحل المغربية المحيطة 16 هكتولتر، وهو أهم زنة استعملت في تجارة الحبوب.

وأصيلا وأسفي.²⁵ وإذا كان الجنويون قد كثفوا مبادلاتهم مع سلا منذ القرن XIIم، فمن أجل الحصول على مادة الذهب.²⁶

أما أسفي فقد تزايد اهتمام الجنويين بها أواخر القرن XIIIم باعتبارها آخر محطة وصلوها على سواحل المغرب المحيطة خلال هذه المرحلة. وقد كتب مؤلف جنوي عاش ما بين 1265 و 1290 كتابا لإرشاد التجار جاء فيه: ”تُحد الأرض عند أسفي، ولا توجد بعدها أي أرض.“²⁷ ويشير عقدان إلى عمليات تجارية جنوبية بأسفي في مارس من سنة 1253.²⁸ وإذا كان العقد الذي من خلاله انتقل ”دوريا“ إلى أسفي يكشف عن قيمة العملية التجارية التي بلغت مائتي ليرة جنوبية، فإننا نجهل طبيعة المواد التي شملتها. غير أن دراسات متخصصة في تاريخ جنوة، ذهبت إلى أن الأمر ربما له علاقة بإدابة الذهب المجلوب من هذا المرسى، ونخص بالذكر دراسة ”فيتالي“ (Vitale) و”لوبيز“ (Lopez) و”غريللو“ (Guerello).²⁹ ذلك بأن جنوة عادت إلى ضرب عملتها على قاعدة الذهب سنة 1252، مما جعلها في حاجة ماسة إلى هذه المادة، وبما أن بعض المؤسسات التجارية والمالية بالمدينة كانت بفعل هذا التحول على عتبة الإفلاس، وخاصة منها المؤسسة التي امتلكتها أسرة ”فيسي“ (Fieschi) فقد صارت مجبرة على البحث عن الذهب بالمناطق البعيدة.³⁰

ولعلّ أهم حدث شهده الحضور الجنوي بالسواحل المغربية المحيطة خلال هذه الفترة، هو وصول الأخوين ”أوغولينو“ (Ugolino) و”فادينو“ (Vadino) ”فيقالدي“ (Vivaldi) إلى أسفي في رحلة اقتادتهما إلى سواحلها الجنوبية. وكتب صاحب الحوليات الجنوبية عن هذه الرحلة: ”قرّر الأخوان ”فيقالدي أوغولينو وفادينو“ القيام برحلة لم يسبقهم إليها أحد من قبل... وبعد أن اجتازا منطقة جزولة (Gazola)، لم تصل الأخبار

25. Charles Dufourcq, *L'Espagne Catalane et Le Maghrib aux XIII^e et XIV^e siècles* (Paris: P.U.F., 1966), 136.

26. Amari, "Nuovi ricordi," 578-79.

27. Bacchisio Raimondo Motzo, "Il piu antico portolano medioevale del Mediterraneo," in *Atti del IX Congresso Geografico Italiano* (Genova: s.n., 1924), 5-9.

28. Roberto Lopez, "L'Attività economica di Genova nel Marzo 1235 secondo gli atti notarili del tempo," *Atti della Società Ligure di Storia Patria*, LXIV (1935): 214-22.

29. Vito Vitale, *Breviario della storia di Genova; Lineamenti storici ed orientamenti bibliografici*, vol.I (Genova: 1955), 107; Roberto Lopez, *Studi sull' economica genovese nel medio evo, I. Genovesi in Affrica occidentale* (Torino: S. Lattes, 1936), 46; Franco Guerello, "La crisi bancaria del paicentino Guglielmo Leccacorvo," *Rivista storica italiana*, LXXI (2) (1959): 292-311.

30. Lopez Roberto, "A propos d'une virgule. Le facteur économique dans la politique africaine des papes," *Revue Historique* 198 (1947): 187.

عنهما، وندعو الله أن يعيدهما سالمين معافين إلى ديارهما..³¹ وتّمت الرحلة على متن مركبين يحملان اسم: أليگرانزا (Allegranza) وسانت أنطونيو (Saint 'Antonio)، وتكون طاقمهما من 300 بحارا، فانطلقت الرحلة من جنوة شهر ماي في اتجاه ميورقة وبرشلونة وبلنسية وألكنت والمرية، فقادس، لتصل إلى السواحل المغربية.³² وظل الجنويون ينتظرون عودة الأخوين "فيثالدي"، فأصبحت رحلتها جزءاً من الموروث الأسطوري الجنوبي، وخلّد "دانتي أليغيري" (Dante Alighieri) هذه الرحلة في الأثنوذة السادسة والعشرين بقسم الجحيم من الكوميديا الإلهية.³³ والواقع أنه قبل اختراع "الكرايفلا"، كان يتعذر الإبحار جنوب رأس بوجدور بفعل أخطار الرياح وتيار الكناري، ولم تكن الوسائل والسفن المستعملة بالبحر المتوسط مؤهلة بعد للذهاب بعيدا في مياه المحيط الأطلسي الذي كان يعرف حقا ببحر الظلمات.³⁴

وتوجّ الجنويون اندفاعهم نحو أراضي جنوب السواحل المحيطة المغربية باكتشافهم لجزيرة "لنرطو" من جزر الكناري التي أخذت اسمها من اسم مكتشفها الجنوبي "لنرطو مالوتشيلو" (Lanzerotto Malocello) الذي أقام بها مدة عشرين سنة.³⁵ ولا نعلم بالضبط متى حدث اكتشاف تلك الجزيرة، ومن المرجح أنه تحقق سنة 1312.³⁶ وظهرت الجزيرة على الخرائط البحرية منذ أن وضع "دولكرت دولورطو" (Dulcert Dolorto) اسمها على خريطة أنجزها سنة 1339 حيث الراية البيضاء والصليب الأحمر باعتبارهما رمزا لجنوة.³⁷ وستين بعد ذلك، أرسى الجنوبي "نيكولوصو داريكو" (Nicoloso da Recco) بجزر الكناري.³⁸

وفي سياق تكثيف الجنويين لاهتماماتهم بسواحل المغرب المحيطة وبمناطقه الصحراوية، وضع الجنوبي "كرنيانو جيوفاني" (Giovanni Carignano) خريطة ما بين

31. AG, vol. 9, 28-9.

32. Alfonso Licata, *Lanzarotto Malocello dall' Italia alle Canarie* (Roma: Edizione Commissione Italiana di Storia Militare, 2012), 30.

33. Licata, *Lanzarotto*, 207.

34. Chaunu, *L'expansion*, 294.

35. Lopez, *Studi*, 46.

36. تجدر الإشارة إلى الاحتفال في إيطاليا سنة 2012 بإحياء الذكرى السبعائة لاكتشاف جزيرة لنرطو، فصدر بالمناسبة كتاب في الموضوع، انظر:

Licata, *Lanzarotto*.

37. Alessandro Pellegrini, "Lanzarote, Un'Isola Genovese da 700 anni," *Dictis Facta Respondet*, 34 (2012): 3.

38. Pellegrini, "Lanzarote,".

سنتي 1310 و1320، وأبرز فيها المناطق الصحراوية المغربية اعتمادا على معلومات استقها من أحد الجنوبيين المستقرين بسجلماسة.³⁹ ومع منتصف القرن XVم، بلغ الجنوبيون منطقة توات المغربية من خلال رحلة ”مالفنت“ (Malfante) الذي أعد تقريرا عن رحلته إلى أراضيها سنة 1448، وتظهر الرحلة حاجة الجنوبيين المتزايدة للذهب المجلوب من السودان الغربي عبر المناطق الصحراوية المغربية، ومما جاء في ذلك التقرير: ”... بعد أن نزلنا من البحر إلى البر بشمال إفريقيا، تقدمنا من سجلماسة نحو الجنوب... إلى أن وصلنا واحة توات... والذهب المباع هنا يشترونه (اليهود) القادمون من الساحل...“⁴⁰

ومن الملاحظات الأساسية ذات الصلة باهتمامات الجنوبيين بسواحل المغرب المحيطة أن أسماء عائلات جنوبية بعينها، تبدو أكثر من غيرها. فإذا اقتصرنا على عائلة ”فيثالدي“، نسجل أن الأخوين ”فيثالدي“ قاما برحلتها التي انتهت بفقدانها سنة 1291 ما وراء رأس بوجدور، وبعد سنوات من ذلك، سار ”سارلوني“ (Sarlone) على خطى أبيه ”فيثالدي أوغولينو“، وفي النصف الأول من القرن XIVم، قام ”بندتو فيثالدي“ (Benedetto Vivaldi) بالمحاولة نفسها؛ وخلال القرن XVم، قضى نجه أحد العناصر من هذه العائلة بأسفي، ليس بعيدا عن السواحل التي مرّ منها سابقا مركبا الأخوين ”فيثالدي“ سنة 1291.⁴¹ كما سجل ”شياسكا“ (Ciasca) الملاحظة ذاتها عن عائلة ”دوريا“. حيث قام ”جاك دوريا“ (Jacques D’Oria) برحلة تجارية إلى أسفي سنة 1253، ومول ”تدزيو دوريا“ (Tedezio D’Oria) رحلة الأخوين ”فيثالدي“ سنة 1291، وهذا فضلا عن تعامل بعض تجار هذه العائلة مع أسفي إلى حدود القرن XVم.⁴²

كانت إيطاليا محور النهضة التي شهدها الغرب الأوروبي أواخر العصر الوسيط كما هو معلوم. ولا غرو أن كان الإيطاليون، وفي مقدمتهم الجنوبيون، رواد التواصل الحاصل آنذاك بين الغرب الأوروبي والمحيط الأطلسي بواسطة التنقل عبر البحر الأبيض المتوسط. ومما له دلالة أن تكون أهم الأسماء التي برعت في التأليف في علوم الإبحار من بين

39. Charles de la Roncière, *La Découverte de l’Afrique au Moyen Age. Cartographes et explorateurs*, vol. I (Le Caire: La Société Royale de Géographie d’Égypte, 1924), 113.

40. فهمي نعيم زكي، دور اليهود في تجارة العصور الوسطى بين الشرق والغرب (القاهرة: مطابع سجل العرب، 1971)، الملحق 100، 138.

41. Lopez, *Studi*, 7-8.

42. Raffaele Ciasca, “Un centro marocchino del’traffico genovese nel medio evo,” *Rivista internazionale di Scienze Sociali*, 6 (4) (1935): 450, 464.

الجنوبيين، كما هو الحال مع "أندالو دي نيغرو" (Andalo Di Negro) المعاصر للأخوين فيثالدي الذي كتب نصا في علوم الإسطرلاب سماه: "Opus praeclarissime Astrolabii" ومن المرجح كذلك أنه في الفترة ذاتها، ألف بحار وتاجر جنوي مجهول كتابا بعنوان: "Il Compasso per mostrare a navichare tutte le terre, marine e isole"⁴³

وكان عدد ممن اضطلعوا بقيادة حركة الاكتشافات الجغرافية الكبرى من الإيطاليين، أمثال "كولومبس" (Colombos) و"كاثوتو" (Capoto) و"فيرازانو" (Verazzano) و"فيسبوتشي" (Vespucci)، ثم إن الإيطالي "بييترو مارتري دانغيرا" (Pietro Martre D'Anghiera) الذي عاش في البلاط الإسباني، كان أول مؤرخ رسمي لاكتشافات العالم الجديد.⁴⁴ وإذا كانت دول أوروبية أخرى قد ساهمت في هذه الحركة مثل الإسبانين والبرتغاليين، فإن خميرتها الأولى تشكلت بإيطاليا، إذ أن الجزء الأعظم من الوسائل المستعملة فيها كانت إيطالية، وقد مثل اكتشاف الساحل الإفريقي أول خطوة باتجاه المحيط الهندي وأمريكا، وأما الباقي فيكاد يكون معروفا.⁴⁵

Bibliographie

- Airaldi, Gabriella. "Les Italiens et L'océan à la fin du Moyen Age." *Actes des Congrès de La Société des Historiens médiévistes de l'enseignement supérieur public*, 17, n°1 (1986): 111-14.
- _____. "Aspetti dell'espansione mediterranea Genovese." In *L'Italia ed i paesi mediterranei: vie di comunicazione e scambi commerciali e culturali al tempo delle repubbliche marinare*, 35-41. Pisa: Nistri-Lischi e Pacini, 1988.
- Al-Maghribī, Ibn Sa'īd. *Kitāb al-Jughrāfiyā*. Taḥqīq Ismā'īl al-'Arabī. Bayrūt: Manshūrāt al-maktab at-tijārī, 1970.
- Amari, Michele. "Nuovi ricordi arabici sulla storia di Genova." *Atti della Società Ligure di Storia Patria* V (IV) (1873): 549-635.
- Annali Genovesi di Caffaro e de' suoi continuatori*. Traduzioni di Ceccardo Roccatagliata Ceccardi e di Giovanni Monleone. Genova: Municipio di Genova, 1923-1941.
- Balducci Pegolotti, Francesco. *La Pratica della mercatura*. Cambridge: The Medieval Academy of America, 1936.
- Chaunu, Pierre. "Le Maroc et L'Atlantique (1450-1550)." *Annales, Sociétés et Civilisations*, 3 (1956): 361-65.
- _____. *L'Expansion européenne du XIII^e au XV^e siècle*. Paris: P.U.F., 1969.
- Ciasca, Raffaele. "Un centro marocchino del traffico genovese nel medio evo." *Rivista internazionale di Scienze Sociali*, 6 (4) (1935): 443-67.
- De la Roncière, Charles. *La Découverte de l'Afrique au Moyen Age. Cartographes et explorateurs*, vol. I. Le Caire: La Société Royale de Géographie d'Égypte, 1924.

43. Licata, Lanzarotto, 30.

44. Airaldi, "Les Italiens," 113.

45. Pierre Chaunu, "Le Maroc et L'Atlantique (1450-1550)," *Annales, Sociétés et Civilisations*, 3 (1956): 361-65.

- De Mas Latrie, Louis. *Traité de paix et de commerce concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l’Afrique septentrionale au moyen âge*. Paris: Plon, 1866.
- Dufourcq, Charles. *L’Espagne Catalane et Le Maghrib aux XIII^e et XIV^e siècles*. Paris: P.U.F., 1966.
- Giuseppe, Canale Michele. *Nuova Istoria della repubblica di Genova; del suo commercio e della sua letteratura dalle origini all’anno 1797*. Firenze: F. Le Monnier, 1860.
- Guerello, Franco. “La crisi bancaria del paicentino Guglielmo Leccacorvo.” *Rivista storica italiana*, LXXI, fasc. II (1959): 292-311.
- Ibn ‘Idhārī, Aḥmad. *Al-Bayān al-Mughrib fī Akhbār al-Andalus wa al-Maghrib*. (qism al-Muwahḥidīn), Taḥqīq Muḥammad Ibrāhīm al-Kattānī, Muḥammad Ibn Tāwīt, Muḥammad Znībr wa ‘Abd al-Qādir Zmāma, Manshūrāt al-Jam‘iyya al-Maghribiyya li at-ta’līf wa at-tarjama wa an-nashr. Bayrūt: Dār al-Gharb al-Islāmī – Ad-Dār al-Bayḍā’: Dār ath-Thaqāfa, 1985.
- Il cartolario di Giovanni Scriba*. Torino: Edition M. Chiaudano et M. Moresco, 1935.
- Le Goff, Jacques. *L’Europe est-elle née au moyen âge?* Paris: Édition du Seuil, 2003.
- Licata, Alfonso. *Lanzarotto Malocello dall’Italia alle Canarie*. Roma: Edizione Commissione Italiana di Storia Militare, 2012.
- Lisciandrelli, Pasquale. *Trattati e negoziazioni politiche delle repubblica di Genova 958-1797*. Genova: Società Ligure di Storia Patria, 1960.
- Lopez, Roberto. “L’Attività economica di Genova nel Marzo 1235 secondo gli atti notarili del tempo.” *Atti della Società Ligure di Storia Patria*, LXIV (1935): 163-270.
- _____. *Studi sull’ economica genovese nel medio evo, I. Genovesi in Affrica occidentale*. Torino: S. Lattes, 1936.
- _____. *Storia delle colonie Genovesi nel Mediterraneo*. Bologna: N. Zanichelli, 1938.
- _____. “A propos d’une virgule. Le facteur économique dans la politique africaine des papes.” *Revue Historique*, 198 (1947): 178-88.
- Mercier, Ernest. *Histoire de L’Afrique septentrionale*. Paris: Ernest Leroux, 1891.
- Motzo, Bacchisio Raimondo. “Il piu antico portolano medioevale del Mediterraneo.” in *Atti del IX Congresso Geografico Italiano*, 5-9. Genova: s.n., 1924.
- Nachchat Mostafa. *Nuṣūṣ wa dirāsāt mutarjama ‘an al-‘alāqāt al-‘iṭāliyya al-maghribiyya fī al-‘aṣr al-waṣīf*. Wajda: Maktabat at-Ṭālib, 2005.
- Pellegrini, Alessandro. “Lanzarote, Un’Isola Genovese da 700 anni.” *Dictis Facta Respondet*, 34 (2012): 3.
- Schaube, Adolfo. *Storia del commercio dei popoli latini del Mediterraneo sino alle fine delle crociate*. Torino: Unione Tipografico-Editrice Torinese, 1915.
- Valerian, Dominique. *Les sources italiennes de l’histoire du Maghreb médiéval, Inventaire critique*. Paris Saint Denis: Bouchene, 2006.
- Vitale, Vito. *Breviario della storia di Genova; Lineamenti storici ed orientamenti bibliografici*, vol.I. Genova: 1955.
- Zakī Na‘īm, Fahmī. *Dawr al-Yahūd fī tijārat al-‘uṣur al-wuṣṭā bayna ash-sharq wa al-gharb*. Al-Qāhira: Maṭābi‘ Sijil al-‘Arab, 1971.

ملخص: الجنويون بسواحل المغرب المحيطة أواخر العصر الوسيط

أصبحت جنوة منذ القرن XIIIم أهم مركز تجاري بالحوض الغربي للمتوسط، وغدت ثنائية البحر والتجارة حقيقة راسخة لدى الجنويين الذين ترددوا على أهم المراسي المتوسطة. ومنذ هذه المرحلة، اندفعوا نحو سواحل المحيط الأطلسي، ومن ضمنها السواحل المغربية، رغبة في الوصول إلى منابع الذهب بالسودان الغربي والوصول إلى الهند. وتعود علاقة الجنويين بالمحيط الأطلسي إلى نهاية العصر الوسيط. فما هي أهم المراسي المحيطة المغربية التي وصلها الجنويون آنذاك، وما هي مظاهر أنشطتهم بها، وما هي مراحل اكتشافهم للسواحل المغربية جنوب رأس بوجدور؟

الكلمات المفتاحية: جنوة، المغرب، السواحل المحيطة المغربية، أواخر العصر الوسيط، التجارة.

Résumé: Les Génois et les côtes atlantiques du Maroc à la fin du moyen âge

Depuis le XIII^{ème} siècle, Gênes est devenue le plus grand pôle du commerce méditerranéen occidental, et le binôme mer-commerce devint une réalité immuable pour les Génois. Depuis lors, ils se sont précipités vers les côtes atlantiques marocaines afin d'accéder aux sources de l'or soudanais et de l'Inde. Le rapport Gênes-Océan atlantique remonte à la fin du moyen âge. Quels sont les ports atlantiques marocains où se sont ils installés? Quelles y étaient leurs activités et les étapes qu'ils ont établies pour explorer les côtes situés au sud du cap Bojador?

Mots-clés: Gênes, Côtes atlantiques marocaines, la fin du moyen âge, commerce.

Abstract: The Genoese and the Moroccan Atlantic Coast in the Late Middle Ages

Since the XIIIth century, Genoa was the largest center of the western Mediterranean trade, and the combination of sea-trade has become an immutable reality for the Genoese.

Since then, they rushed toward the Atlantic coast of Morocco for access to the sources of the Sudanese gold and India.

The Report Genova-Atlantic dates back to the late Middle Ages. What are the Moroccan Atlantic ports where they have settled? What were the activities and operations that have been made to explore the southern coast of the Cape Bojador to the south of Morocco?

Keywords: Genoa, the Atlantic Coast of Morocco, the Late Middle Ages, Trade.

Resumen: Genoese en las costas atlánticas de Marruecos a finales de la Edad Media

Desde el siglo XIII, Génova fue el centro más grande del comercio del Mediterráneo occidental, y la combinación del mar y el comercio se convirtió en una realidad inmutable para los genoveses. Desde entonces, corrieron a la costa atlántica marroquí para acceder a las fuentes de oro de Sudán y la India. El Informe de Génova Atlántico se remonta a la Edad Media. ¿Cuáles son los puertos marroquíes del Atlántico donde se asentaron? ¿Cuáles fueron las actividades y operaciones que se han realizado para explorar la costa sur del Cabo Bojador al sur de Marruecos?

Palabras clave: Génova, costa atlántica marroquí, fin de la Edad Media, comercio.